والغالب ان يتقي المؤلفون سهام الانتقاد والتخطئة باسوار من الآيات الكتابية والعقائد الدينية حتى يعسر على من يريد احقاق الحق الدنو منهم فيقولون مثلاً " ان الذباب يتولد من الطين بقدرة الله تعالى وهو على كل شيء قدير " و" ان الزنابير تموت وتبقى جثثها كل ايام الشتاء يابسة لعلمها يقيناً بالمعاد وان الله منشئها ومعيدها في العام القابل كما انشأها اول مرة فاذا انقضى الشتاء وجاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيها روح الحياة فعاشت وبنت البيوت وباضت ". فاذا خالفتهم بقولك ان الذباب لا يتولد من الطين بل من بيض باضهُ ذباب آخر قبلهُ وان الزنابير لا تموت ثم تعيش بل تشتواي تنام نوماً ثم تستيقظ سهل عليهم ان يرشقوك بالالحاد. ومثل ذلك يفسد العلم او تضعف العقائد الدينية

ويا حبذا لو اهتم مناشرو الكتب القديمة بتعليق الحواشي عليها اذا كان لا بدَّ من نشرها او حبذا لو بذلوا همتهم في تنشيط المترجمين والمؤلفين على نشر كتب جديدة مما ينطبق على المعارف العلمية الحديثة لان الاعتماد على القديم لا يفيدنا اكثر مما افاد اسلافنا بل قد لا يفيدنا كما افادهم اذ نحن نناظر الآن اقواماً لم يكونوا يناظرونهم فاذا لم نحاضر مثل هؤلاء الاقوام ولم نسعَ سعيهم قصرنا عنهم كثيراً وكرَّت القرون ونحن في ساقة الامم

صيد الاسد

اقبل الاوربيون على افريقية بخيلهم ورجلهم يقصدون تدويخها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً فلم يلقوا مقاومةً من الانسان قدر ما لقوا من الحيوان وافتكهُ بهم تلك الميكروبات الصغيرة التي تضني ابدانهم ولا تبقي على كبيرٍ ولا على صغير لكنَّ فتكها بخفي لا يتحدَّث بهِ الناس كما يتحدثون بفتك الضواري ولا ترهبهُ النفوس كما ترهب فتك الاسود

كتب بعضهم الى جريدة العالم الانكليزية يصف هجوم الاسد على ثلاثة من الاوربيين في طريق اوغندا في السادس من شهر يونيو الماضي قال كان المستر ريال معاون البوليس سائراً في مركبتهِ على طريق اوغندا وكانت المركبة متصلة بقطار سكة الحديد التي هناك فالتقى برجل اسمهُ هبتر وآخر اسمهُ باذنتي حتى اذا وصل القطار الى محطة كيما على ٢٥٥ ميلاً من اول الخط رأى اسداً كبيراً وشبلين قرب المحطة وكان من مهرة الصيادين ففصل مركبتهُ عن القطر ودعا الرجلين اليها ليبيتوا فيها ويقوموا في الصباح الى صيد الاسد ثم يصلوها بقطر آخر يمرُّ من هناك بعد الظهر فاجاباهُ الى ما طلب ففصل المركبة عن القطر ودفعها الى تحويلة بجانب

المحطة واقام الثلاثة فيها وتعشوا وسهروا. وطلب من هبنر ان ينام في فراشهِ فابى وقال انهُ يفضل ان ينام في عرزال معلَّق بسقف المركبة . وطلب من بارنتي ان ينام في فراشهِ فابى وفضَّل ان ينام في ارض المركبة

ولما كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً اقتسموا حراسة المركبة فنام هبنر في العرزال وبارنتي على الارض وبقي المعاون جالساً للحراسة ففتح باب المركبة واقام فيها ولم يكن الاَّ ساعات قليلة حتى استيقظ هبنر على صوت المعاون فالتفت من العرزال واذا اسد ضخم الجثة قابض على صدرهِ وقد مزقهُ تمزيقاً وقدماهُ على جسم بارنتي . قال هبنر "فدهشت من هذا المنظر المرعب ولم ادرِ ماذا افعل ثم تبينت المعاون فوجدتهُ قد اسلم الروح لان الاسد مزَّق صدرهُ وقلبهُ واما بارنتي فلم يبدِ حراكاً وكان جسم الاسد قد ملأ المركبة كلها فنزلت من العرزال على ظهرهِ وكان جانب من المركبة مفصولاً وحدهُ يقيم فيهِ الخادم ويهيئُ الطعام ففتحت بابهُ وكان الخادم قد اقفلهُ ودخلتهُ واقفلتهُ ثانيةً وخرج الاسد من الباب الذي دخل منهُ وهو حامل زمَّة المعاون بفيهِ وعدا بهِ ثم ناديت بارنتي فوجدتهُ حيًّا يرزق "

واعلن مهندس السكة انهُ يعطي مئةَ جنيه لمن يقتل هذا الاسد ومضت الايام ولم يتمكن احد من قتلهِ . اما الاسد فغاية ما فعلهُ انهُ اخذ بثأر اخوتهِ التي يسفك الاوربيون دمها سنة بعد سنة حتى كادوا يقرضون الاسد من بلاد الاسود

وكتب السر ادمند لشمير منذ ثلاثة اشهر يقول انهُ مضى الى بلاد الصمال في غرة يناير الماضي هو وزوجتهُ وخادم انكليزي فوصل الى بربرا في ١٨ منهُ واخذ منها قافلة فيها عشرون رجلاً واربعة وعشرون جملاً وضرب في البلاد الى ان بلغ جليلو التي يزعم البعض انها موضع جنَّة عدن لكثرة ما فيها من الاشجار والغزلان وبقر الوحش . ثم سار من هناك الى ان بلغ هراف فسمع ان فيها اسداً ضارياً واتاهُ رجل اخبرهُ ان الاسد افترس خروفاً من القرية التالية فقام حالاً وسار في اثرهِ الى ان عثر عليهِ واذا هو من الاسود الكبيرة اسوَد اللبد ضخم الجثة ومعهُ اسد آخر . قال فلما وقع نظري عليهما نهضاً ووثبا فتخطَّيا الانجم التي تحيط بعريسهما ووصل واحد منهما غابة ملتفة الشجر فنزلت عن جوادي واقتفيت اثرهُ ومعي بندقية وخادم يحمل بندقية اخرى ولم ارَ الاسد حتى صرت على خمسة عشر متراً منهُ فاطلقت عليهِ الرصاص فالقيتهُ على الارض يخبط بدمائهِ وهو الاسد الذي كان الناس يشكون منهُ ويقولون انهُ أفترس باكل لحم الانسان وقستهُ فوجدت طولهُ ثماني اقدام وخمس عقد . ثم عدنا الى ديس واصطدنا هناك اسداً آخر وكثيراً من الفرا وبقر الوحش والضباع المخططة والمرقطة . ولم يكن هذا الاسد

وحدهُ بل كان معهُ لبوتهُ وكانت زوجتي راكبة على جمل فتركتها في مسيل نهر حاسبًا انها فيهِ بأمن من الاسدين ثم اقتحمتُ الغاب الذي كان فيهِ الاسد واللبوة الى ان دنوت منهُ واطلقت عليهِ الرصاص فاصبتهُ بين كتفيهِ لكن الرصاص لم يقتلهُ فنفر من وجهي وخرج من الغاب ودخل مسيل النهر حيث كانت زوجتي وبقية الرجال واقعى كانهُ يتأهب للوثوب عليهم وهو يجلد جنبيهِ بذنبهِ ويزأر زئيرًا مزعجًا فاستعدَّ الرجال لاطلاق الرصاص عليهِ اذا وثب عليهم لكنهُ لم يفعل ذلك بل فضَّل العودة الى غابهِ ولم يدرِ انني كنت لهُ بالمرصاد فلم يكد يدخل الغاب حتى اطلقت عليهِ رصاصة اصابت رأسهُ فوقع قتيلاً على خمسة امتار مني . وهو من اكبر الاسود واضخمها عضلاً طولهُ ثماني اقدام ونصف قدم . اما اللبوة ففرَّت من وجهنا ولسان حالها يقول

قتلُ الذي اتخذ الجراءة خلَّةً وعظ الذي اتخذ الفرارَ خليلاً

واكتفينا بهذين الاسدين وعدنا ادراجنا الى الساحل فاصابتني الحمى الملارية ولم تفارقني حتى بلغت نصف الطريق الى بلاد الهند

وتاريخ الاستعمار في افريقية واحد في كل الازمان يأتيها الاوربيون فلا يقف امامهم انسانها ولا حيوانها حتى الاسود الضارية تهرب من وجههم او تتجرع غصص المذوق برصاص بنادقهم واما ميكروبات الامراض فلا تخشى صولتهم ولا ترهب بطشهم بل تفاجئهم في السر والعلن وتردد على مسامعهم قول من قال ان البعوضة تدمي مقلة الاسد . فان بقيت على فتكها بهم فلا خوف من انهم يطردون من البلاد سكانها ويستوطنونها بدلاً منهم كما فعل اخوانهم في اميركا . ولكن اذا استنبطوا الاساليب الصحية والطبية لدفع عوادي الادواء ووقاية الابدان من الميكروبات ولاسيما ميكروب الحمى الملارية لم يصدَّهم شيء عن السكن فيها واستيطانها فيافيها واحياء مواتها واستثمار خيراتها . واذا صحَّ ما تناقلتهُ الالسن ونحن نكتب هذه السطور وهو ان انكلترا عازمة على المقايضة مع المانيا فتعطيها قبرص وتأخذ منها املاكها في شرقي افريقية صار للانكليز اغنى بقاع افريقية واكثرها سكانًا من "القاب الى القاهرة" كما يقولون اي من رأس الرجاء الصالح في اقصى الجنوب الى بلاد مصر في اقصى الشمال . وهم يهتمون الآن بمد سكة الحديد فيها ووصل اسلاك التلغراف ولا يستحيل شيء على اولي العزائم

ونحن ابناء هذا القطر نستطيع الاستيطان في كل بقعة من افريقية فعلى مَ لا نناظرهم في استعمارها ونأخذ اخذهم في استدرار الخير منها